

محاضرة مفرغة لفضيلة الشيخ:

صالح بن سعد السُحيمي –حفظه الله تعالى-

تفريغ:

أبو سليمان محمد عبد العظيم بن بَيْكر الأمريكي

مراجعة:

الأخ يعقوب بن بشير السلفي الجزائري

يوم الثلاثاء 10 جمادى الأولى 1430 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ]، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَى اللهُ وَسَلَمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجْمَعِين، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الْدِّيْن.

أَمَّا بَعْدُ:

أيُّها الإخوة في الله؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، وأبي ذر –رضي الله عنه–: ((اتقِ اللهَ حيثُ ما كنتَ, واتبع السيئةَ الحسنةَ تمحوها, وخالق الناس بخُلق حسن)) هذا الحديث العظيم اشتمل على ثلاث خصال:

الخصلة الأولى: الأمر بتقوى اللهِ –عزَّ وجل–.

والخصلة الثانية: الإجتهاد في الحسنات لعل اللهَ يمحو بهنَّ السيئاتِ.

والخصلة الثالثة: التَّخلقُ بالأخلاق الفاضلة، والصفات النبيلة.

الخصلة الأولى: شاملةٌ لِما بعدها؛ ولكن هذا كما يقولون من ذكر الخاص بعد العام, للاهتمام بشأن الخاص؛ وإلاّ فتقوى الله –عزَّ وجل– حقيقتها: إمتثال أوامر الله –سبحانه وتعالى–، واجتناب نواهيه, امتثال أوامره؛ بحيثُ إذا سَمِعَ المسلمُ أمرًا أمر به المصطفى صلى الله عليه وسلَّم؛ فإنه لا يسعه إلاّ الإمتثال؛ بأن يقول: ((سمعنا وأطعنا)).

وفائدةُ هذا الأمرِ تعود للمأمور لا للآمر، تعود للشخص؛ وإلاَّ فاللهُ غني عن العالمين. ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾ [الحج: ٣٧].

وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ هي تحقيقٌ للحكمةِ التي خلقنا اللهُ -تبارك وتعالى- مِنْ أجلها وأوجدنا لها، تحقيق لأمر اللهِ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلَّم، فإذا سمعتَ اللهَ -عزَّ وجل- يأمر في كتابه بتقواه أو يأمر بذلك رسولُه صلى الله عليه وسلَّم؛ فاعْلِمْ أنَّ الأمر عظيم.

وأساسُ التقوى؛ بل وأساسُ تنفيذ الأوامر؛ تحقيقُ الشهادتين؛ شهادتيْ التوحيد؛ شهادة أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وأنَّ محمد رسولُ اللهِ، ولا يصحُّ عملٌ قطّ يتقربُ به العبدُ إلى ربه ما لم نحققْ هاتين الشهادتين.

ومعنى تحقيقِهما: تصفيتُهما مِن شوائب الشرك والبدع والمعاصي؛ **تحقيق شهادةِ لا إله إلاَّ اللهُ؛ حقيقته:** إفراد اللهِ -تبارك وتعالى- بالعبادة، وأنْ يعتقدَ جازمًا أنّهُ لا معبودَ بحقٍ إلاّ الله.

وتحقيقُ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلّم، أكثروا مِنَ الصلاةِ والسلامِ عليه وبخاصة في يومَ الجمعة؛ فقد أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلّم، وأكد عليه بشكلٍ أكثرَ في يوم الجمعة؛ فاكثروا مِنَ الصلاة والسلام، وإياكم أن تكونواْ بُخلاء، وإياكم -أيُّها الكتَّاب- أن تكتفواْ بحرف الصاد أو بكلمة صلعمة، التي من بُخلهم حتى بالحبر والورق بدلاً مِنْ أن يقولوا: صلى الله عليه وسلّم، وَهي أقصر جملة في الصلاة عليه والسلام؛ بدلاً من أن يقول هذه الكلمة وما أخفها وما أعظمها في الميزان: ((مَنْ صلى علي صلاة واحدةً صلى اللهُ عليه بها عشرا))، تأتي و تكتبُ في عمود جريدتك: (صلعم)! بدلاً مِنْ تكتبُ صلى الله عليه وسلّم، أو تكتبُ حرف الصاد وهذا كلُّه مِنْ الجهل، وقلةِ الأدب مع رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم، وعدم فهم أمرِ الله -عزَّ وجل- الذي أمر بذلك: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦] صلى الله وسلّم وباركْ وأنعم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نعود إلى مسألةِ أساسِ التقوى؛ وهو تحقيق الشهادتين.

ضَعُفَ لدى كثير مِنَ النَّاسِ هذا الأمرَ؛ كما قلتُ إنَّ تحقيقَ شهادةِ أن لا إلهَ إلاَّ الله: أنْ يعتقدَ جازمًا أنَّهُ لا معبودَ بحقٍ إلاّ الله، ومِنْ ثَمَّ ينخلع مِنْ جميعِ المعبودات التي تُعبدُ مِنْ دون اللهِ؛ سواءً كانتِ تلك المعبوداتُ قبورًا أوْ أولياءَ أوْ صالحين أوْ أنبياء أوْ ملائكة أوْ أشجار أوْ أحجار أوْ أيَّ شيءٍ مخلوق؛ فيُفْرِدُ اللهَ -تبارك وتعالى- بالعبادة.

وتحقيق شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ: إفراد رسولِهِ صلى الله عليه وسلم بالإقتداءِ والمُتابعةِ؛ بمعنى: أن لا تُقْدِمَ على فِعْلٍ أمرٍ حتى تعلم له دليلاً، مِنْ كتابِ اللهِ -تبارك وتعالى- وسنةِ رسوله صلى اللهُ عليه وسلّم، وهذا لا يتأتى بغير العلم والتعلُّم، والتفقه في دين اللهِ -سبحانه وتعالى-.

والبعضُ من الناسِ يظنُّ أنه محققٌ للتوحيد، وهو ينقضهُ مِنَ أساسه؛ فالذي يشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله؛ ثُمَّ يعمدُ إلى ميِّتٍ في قبره، ويمدُّ يديه إليه، وينطرح بين يديه، ويسأله جلبَ خيرٍ أو دفعَ الشر، يسألهُ الظفر بالمرغوب، والفوز بالمحبوب، والنجاة مِنَ المكروب، يطلبُ منهم ما لا يطلبُ إلاَّ مِنَ اللهِ -عزَّ وجلَّ-؛ فهذا كالتي نقضتْ غزلها مِن بعدِ قوةٍ أنكاثًا، لا قيمةَ لعمله ولوْ كان مثلَ زبدِ البحرِ. يتعبدُ ليلاً ونهارًا؛ ثُمَّ ينقض ذلك كلَّهُ بكلمة: "مدد يا فُلان" أو "أغثني يا فُلان أو أعطني يا فُلان", يتعبدُ ليلاً ونهارًا؛ ثُمَّ يأتي بذبيحة من آخر الدنيا ليتقرب بها عند أعتاب الشيخ والولي فُلان؛ فهذا لا صلى ولا صام، ولا زكَّى ولا حجَّ: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]**.

البعضُ من الناس يقول: أنتم تبالغون في تشخيص هذا الداء، ومِنْ ثَمَّ تُبلغونا في وضع الدواء, وإنّي أسألُ الإخوةَ الذين يسمعون مثلَ هذا طرح: أليست هذه الظاهرة وهي: والاستغاثة بأصحاب القبور، وطلب المدد منهم، والاستعاذة بهم، والذبحِ لهم، والنذر لهم، وجعل الصناديق والقرابين والسدنة والمطاف؛ أليست موجودة في كثير من بلاد المسلمين؟ موجودة أم لا؟ فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال؟ وهذا مِنَ أعظمِ أسباب تفرق كلمة المسلمين؛ التعلق بغير اللهِ -سبحانه وتعالى-.

وقد تُشاهدُ هذا الآن، إذا لوْ جئتَ ونظرتَ إلى فِعْلِ بعضِ الزوار أمام قبر المصطفى صلى الله عليه وسلّم، أو قبريْ صاحبيه، أو قبور أهل البقيع؛ لوجدتَ ذلك عيانًا بين بعض الناسِ, لا يعرفون مِنَ الدينِ إلاَّ التوجه إلى القبور، وأنا لا أعترض على الزيارة. الزيارة المشروعة بدون شد رحال؛ ولكن المعترض عليه هو أن يمد يديه ويقول: مدد يا رسول اللهِ, هذا هو الشركُ بعينه الذي لا يغفر اللهُ لمن ماتِ عليه: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨].

فهذا الأمرُ لابُدَّ أن نوضحه للأمة؛ لأنّ البعضَ يرتكس فيه مُنْذُ القرنِ الرابعِ الهجري وإلى يومِنا هذا، والذي خرج إلى بعضِ بلاد المسلمين يرى عجب العُجاب؛ تجدُ في قرية الواحدة كذا قبة يُذبح لها، ويُنذر لها، ويُحجُّ إليها، وكذا شيخ يُقْسِمُ به، وتُقامُ له المقامات، وتُقامُ له الأعياد، وتُقدمُ له القرابين، وتُوقف عليه الوُقوف، وتُوقد عنده الشموع، ويُستَغاثُ به مِنْ دُونِ اللهِ -سبحانه وتعالى-؛ فهلْ مِنْ فعل ذلك يُعْتَبرُ قَدْ حقق كلمة التوحيد؟ أبدًا، لم يُحققْها؛ بَلْ أَتعب نفسه، وعمله هباء.

فعلينا أن نُعنَى بِهَذَا الأساسِ؛ الذي هو أساسُ تَقْوَى اللهِ -عَزَّ وجَلَّ-: تحقيقُ كلمةِ التوحيدِ وتَصْفِيتُها مِنْ شوائب الشرك والبدع والمعاصي والخرافات والخزعبلات، واللهِ إنَّ فَهْمَ هَذَا يَجبُ أَنْ يُفْهَمَ قبل فهمِ أحكامِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّوْمِ والحجِّ؛ لأنَّ كُلَّ مِنَ الصَّلاةِ و الزَّكاةِ والصَّوْمِ و الحجِّ لا تُقْبَلُ إذَا لم يَصِحَّ هَذَا الأساسَ ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾ [التوبة:109]. فعلينا -أيها الإخوةُ- أن نُعنَى بهذا الأساس.

ومعنى شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله: أن نُطِيعَهُ فيما أمر به، وأن نُصدِّقهُ فيما أخبر به، وأن لا نفعل عبادةً إلاَّ وَفْقَ ما جاء به مِنْ عند اللهِ، وأن نجتنب جميع ما حذر منه ونهى عنه وزجر عنه؛ بلزوم السنةِ، والبُعد عن البدعة, بلزوم التوحيد، والبُعد عن الشرك، بلزوم الهدى، والبُعد عن الضلال.

البعضُ مِنَ الناسِ الآنَ يتباكى ويتشاكى مِنَ الأحوال التي يعيشُوها المسلمين، وتسلط أعداء الإسلام علينا، وتفرّق كلمتهم، وبُعدهم عن اللهِ، وهواهم على الناس، وهذا التشاكي والتباكي لا ينفع؛ إذا لم نعد إلى اللهِ -تبارك وتعالى-؛ فنحقق معنى لا إلهَ إلّا الله توحيدًا، ونُحقق شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله، إقتداءً وإتباعًا، ونتخلص مِنَ جميع أدرانِ الشرك والوثنية، ولا يُمكن بأي حالٍ من الأحوال أن تجتمع كلمتنا إلاَّ على هذا الأساس، وكما قُلتُ -قبل قليل-: تفرق الكلمة بسبب الشرك والتعلق بأصحاب القبور؛ أمرٌ مُشاهَدٌ في كثير من بلادِ المسلمين؛ بل إنَّكَ تجدُ الأقليات الإسلامية في بعض البلاد على عدة طُرق، وعلى عدة مناهج؛ ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٣]، ولا يُمكن أن يتم أمر هذه الأمة، أو أن يصلح هذا الأمة إلّا بما صَلُحَ به أوَّلها, فيتطلبُ ذلك العودة إلى

الله، ونبذ جميع البدع والخُرافات والشركيات والخزعبلات، ونبذ جميع مظاهر المعاصي والانحلال والاعتراض على اللهِ -عز وجلَّ-، والانسلاخ مِنَ الدين، والإلحاد والانحلال الذي يعيشه كثيرٌ من الناس، مليءٌ بيت البعض بألوان المعاصي من القنوات المفسدة، والفضائيات المائعة المُنحلة، التي تبثُّ بين شبابنا ظاهرتي الإفراط والتفريط؛ إما قنواتٌ صوفية بدعية شركية بعيدة عن منهج اللهِ الحق؛ تقوم على الشرك والتعلق بغير اللهِ —عزَّ وجل-، وتدعو إليه بألوان الابتهالات، والأذكار الشيطانية المبتدعة، وإما قنوات مُنحلةٌ ملحدة تدعو إلى الإلحاد، والإعراض عن اللهِ، وتبث ألوان الخنا، وتدعو إلى الفجور علنًا، تغثُّ بها كثير من البيوت وللآسف، دونما وازع ولا حياءٍ مِنَ اللهِ -سبحانه وتعالى- ومع ذلك نرجو النصر والتمكين.

«ترجو النجاة ولا تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ»

ولا تُحَمّل أمرك غيرك؛ فتقول: هذه موجودةً في الأسواق؛ ولذلك ما ذنبنا نحن؟! ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: ٣٨] أنت مسئولٌ عن نفسك، وعن من ولاَّك اللهُ عليهم؛ فاتقِ اللهَ — يا عبدَ اللهِ!— واجتهدْ في طاعة اللهِ، وتقرب إلى الله بما يرضي الله، وابتعد عن مساخط الله -سبحانه وتعالى-؛ ((اتق اللهَ حيثُ ما كنتَ, واتبعِ السيئة الحسنةَ تمحوها وخالقِ الناسَ بخُلقٍ حسن))

وإلى درس قادم -إن شاء اللهُ-.

نسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً, وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يُزيلَ مِنْ بينهم مظاهر الشرك والوثنية والبدع، ومظاهر المعاصي والانحلال والفتن، وأن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يخزي أعداء إسلام والمسلمين من الكفرة والملحدين واليهود والنصارى، وأعوانهم، وكل من سعى معهم نسأل الله -عزَّ وجل- أن يرينا فيهم عجائب قدرته، وأن يُذل أعداء أهل السنة والجماعة من الخوارج والمبتدعة، ومن نهج نهجهم من تكفيريين والملاحدة والمارقين، اللهم أحصهم عددًا وأقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحدًا.